

## الفصل الثالث

### النزعة الإنسانية فى عصر النهضة

#### النزعة الإنسانية تميز الحياة الفكرية فى عصر النهضة

كان ينظر إلى العصور الوسطى على أنها تمثل فجرا جديدا بالنسبة إلى عصور من الظلام عاش فيها الغرب إبان حكم الامبراطورية الرومانية. لكن ما إن لاح عصر النهضة حتى بدا أنه فجر جديد بالقياس إلى العصور الوسطى التى أصبح يقال عنها إنها عصور الظلام. وسبحان الله فالق الإصباح، هو الذى يولج الليل فى النهار، ويولج النهار فى الليل.

وكان من الطبيعى أن تتحول الأنظار بصفة خاصة فى عصر النهضة إلى الفلسفات اليونانية أو إلى التراث اليونانى. لماذا؟ لأن مفكرى عصر النهضة وجدوا فى هذا التراث إعزازا وإكبارا للعقل الإنسانى وقيمه وكرامته. وهى أمور كانت العصور الوسطى المسيحية قد قضت عليها أو كادت، إذ لم يكن لها مكان إلى جوار الله والكنيسة، بالرغم مما فى هذه النتيجة من منطوق معكوس لا يتفق مع طبيعة الأمور لو استقامت، إذ إن الحياة الدينية المزدهرة لا يمكن إلا أن تؤدى إلى كرامة الإنسان واحترام عقله، ولا تنتهى أبدا إلى طمس العقل وقهر أو إهدار إنسانية الإنسان. على أى حال، فإن قدوم عصر النهضة قد حمل معه إحياء التراث اليونانى من أجل هذا السبب، بالرغم من أن هذا التراث وثنى فى طابعه العام ولم يقدم عن الله والألوهية إلا صورا لا تتفق مع الصورة التى قدمتها الأديان المنزلة. ويبدو أن رجال عصر النهضة ومفكره وجدوا أكثر من وجه شبه بين المجتمع الأثينى ابتداءً من القرن الثامن قبل الميلاد حتى القرن الخامس قبل الميلاد والمجتمع العبودى والإقطاعى الذى كان سائدا قبل ذلك فى كل من أثينا وأوربا، وما تلا ذلك من ظهور فجر مجتمع جديد تميز بالمناداة بالحرية الفردية والاقتصادية وشيوع الروح الديمقراطية والنزعة الإنسانية.

إلا إنه ينبغى أن لا يغيب لحظة واحدة عن بالنا - نحن المسلمين والشرقيين - أن التوجهات الفكرية التى ظهرت فى عصر النهضة الأوروبية بالرغم من أنها توجهات

طيبة لا بأس من الاستفادة منها في بلادنا فإنه قد صاحبها أمور خاصة تمنعنا من اتخاذ عصر النهضة الأوروبية - من الناحية الفكرية على الأقل وهو ما يهمننا هنا بصفة خاصة - نموذجاً لنهضتنا أو لصحوتنا المأمولة. فالعودة في عصر النهضة إلى التراث اليوناني أو إلى ما يسمى بالجذور للفكر الغربي قد صاحبه نزعة لتصديق ما يسمى بالمعجزة في وصف العقلية اليونانية التي ازدهر على يديها التفكير الفلسفي على نحو وصف بأنه غير مسبوق. وقد استمرت هذه النزعة واضحة في كل ما يصدر عن الحضارة الغربية. لكن هذا أمر مشكوك فيه لأننا نجد مجموعة ضخمة من الأفكار والتيارات واللمحات الفكرية في حضارات الشرق القديم وفي مصر وفي الحضارة الإسلامية - تؤكد لنا أن الحديث عن المعجزة اليونانية كان مبالغاً فيه إلى حد كبير. وبالإضافة إلى هذا فإن المناداة بقيمة الإنسان الفرد في عصر النهضة ارتبط بقوة المال التي أصبحت تحرك كل شيء واتخذت أساساً للتحركات الاستعمارية وللتيارات الرأسمالية التي صاحبت أو كانت وراء نمو النشاط الاستكشافي على يد الأوروبيين. ومعنى هذا أن قيمة الفرد هنا كانت مرتبطة بنمو رأس المال وظهور الميل إلى المغامرة والاندفاع في الحياة لتحقيق النجاح والثراء أولاً وقبل كل شيء وكانت كل هذه التوجهات على حساب قيم أخرى في الفرد تعلو فيه أصوله الدينية وقيمه الأخلاقية وأياً ما يكون الأمر فقد بات من واجبين أن لا نتحدث عن عصر النهضة الأوروبية إلا وعلينا أن نكون مفتوحة على حضارتنا الإسلامية العربية والشرقية، وبعبارة أخرى ينبغي أن لا يخلو عن تلك النهضة من الحيطة والحذر بقدر ما يخلو في الوقت نفسه من العتصم الأعمى المذموم، وعلينا أن لا ننسى على أي حال أن المناداة بقيمة الإنسان في كتابات رجال النزعة الإنسانية إبان عصر النهضة كانت موجهة بصفة خاصة إلى شمولية الملكية ضد الكهنوت المسيحي أيضاً ممثلاً في سلطة الكنيسة. الأمر الذي أدى إلى ظهور جماعات الفرنسيكان ضد الدومينيكان، وذلك لتحرر الكنيسة من صرامة البابوية ولتحرر الفكر من تلك التيارات العقلية والتأملات الفلسفية التي غلبت على الفلسفات المسيحية التي كانت قد ظهرت في العصور الوسطى، وكل هذا من أجل أن تقترب المسيحية من دين القلب الذي بشر به السيد المسيح، ومن الإنسان المسيحي الطيب الذي يحتكم إلى فطرته وإلى أصوله الدينية. وليس من شك في أن هذا الإتجاه إلى الإنسان في عصر النهضة

قد أدى أيضا إلى التقليل من قيمة الدراسات الكونية الكوزمولوجية التي كانت تغلب على اهتمامات فلاسفة العصور الوسطى والأرسطيين منهم بصفة خاصة مما انتهى بهم إلى وفرة بحوثهم الطبيعية الفلكية على حساب الدراسات الإنسانية بوجه عام.

